

القسم الأول

المسلمون والحضارة الأوروبية

تاريخ بداية العلاقات بين المسلمين والغرب

أ. د / إحسان ثريا صيرما

لأشك أنه عندما نتكلم عن العلاقات بين المسلمين والغرب ، نعني من اصطلاح الغرب، العالم المسيحي . لأن المسيحيين في عهد الإسلام الأول، كانوا يمثلون الغرب الحديث . ولهذا سوف نتكلم عن العلاقات التي جرت بين المسلمين والمسيحيين .

طبعاً لا يمكن التكلم أثناء المؤتمرات كموتمراتنا هذا عن كل التفاصيل. ولا سيما في موضوعات مهمة، ومفصلة كبحتنا هذا. ولهذا السبب سنتكلم فقط عن العلاقات التي جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسيحيين . وسنحاول - إن شاء الله تعالى - أن نفهم ونعلم من هذه العلاقات كيفية سياسته صلى الله عليه وسلم ومعاملته معهم .

لتحقيق بحثنا وغرضنا هذا، اخترنا هذا المنهج وهذه الأصول : سنقدم الحوادث التي جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والنصارى ، ونستبطن ونحلل علاقاته صلى الله عليه وسلم من خلال هذه الحوادث .

سفر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بصري

حسب ما نقرأ في المصادر التاريخية الإسلامية، أول لقاء له صلى الله عليه وسلم مع المسيحيين، كان في بلاد الشام، مع الراهب بحيرا. ونجد قصة هذا السفر عند مؤرخنا الكبير ابن إسحاق كما يلي:-

عن محمد ابن إسحاق قال : و كان أبو طالب هو الذي آل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بعد جده ، فكان إليه ومعه . ثم إن أبا طالب خرج في ركب إلي الشام تاجرا فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع السير هب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بزمام ناقته وقال : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا . أو كما قال ، فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصري ، من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له ، وكان أعلم أهل النصرانية . ولم يزل في تلك الصومعة قط راهباً ، عليه يصير علمهم عن كتاب فيهم ، فيما يزعمون ، يتوارثونه كابرا عن كابر .

فلما نزلوا ذلك العام ببخيرا ، وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتي إذا كان ذلك العام نزلوا به قريبا من صومعته فصنع لهم طعاما كثيرا . وذلك فيما يزعمون ، عن شئ رآه وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم . ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه . فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة ، وتبصرت أغصان الشجرة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتي استظل تحتها . فلما رأى ذلك بحيرا ، نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع . ثم أرسل إليهم فقال : أني قد صنعت لكم طعاما ، يا معشر قريش ، وأنا أحب أن تحضروا كلكم : صغيراكم وكبيراكم وحركم وعبدكم . فقال له رجل منهم : يا بحيرا ! إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى ، وقد كنا نمر بك كثيرا . فما شأنك اليوم ؟ فقال له بحيرا : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما

تأكلون منه كلكم . فاجتمعوا إليه . وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحدائثة سنه ، في رحل القوم تحت الشجرة . فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده . قال : يا معشر قريش ، لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا ؟ قالوا له : يا بحيرا ، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سنا، تخلف في رحالهم . قال : فلا تفعلوا ، ادعوا فليحضر هذا الطعام معكم . فقال رجل من القوم من قريش : واللات والعزى ، أن هذا للوم بنا يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه ، ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم . فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر علي أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته . حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا، قام بحيرا فقال له : يا غلام ، أسألك باللات والعزى ألا أخبرتني عما أسألك عنه . وإنما قال بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لا تسألني باللات والعزى شيئا ، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما . فقال له بحيرا : (فبالله ألا أخبرتني عما أسألك عنه قال : سلني عما بدا لك) . فجعل يسئله عن أشياء من حاله من نومه وهيبته وأموره . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهن فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته . ثم نظر إلي ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه علي موضعه من صفته التي عنده . فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب ، فقال له : (ما هذا الغلام منك ؟) . قال : (ابني) قال له بحيرا : (ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا) . قال : (فإنه ابن أخي) . قال : (فما فعل أبوه ؟) قال : (مات وأمه حبلى

به). قال: (صدقت ، ارجع بابن أخيك إلي بلاده ، واحذر عليه اليهود. فو الله
لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ، ليبغينه شرا . فإنه كائن لابن أخيك هذا
شأن ، فأسرع به إلي بلاده). فخرج به عمه أبو طالب سريعا ، حتى أقدمه
مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا ، فيما يتحدث الناس ، أن زبيرا ،
وتامما ، ودريسا- وهم نفر من أهل الكتاب- قد كانوا رأوا من رسول الله
صلي الله عليه وسلم في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب أشياء ،
فأرادوه فردهم عنه بحيرا ، وذكرهم الله عز وجل وما يجدون في الكتاب من
ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه ، حتى عرفوا ما
قال لهم ، وصدقوه بما قال . فتركوه وانصرفوا ، فقال أبو طالب في ذلك من
الشعر يذكر مسيرة برسول الله و ما أرادوا منه أولئك النفر وما قال لهم فيه
بحيرا.

لقاؤه صلي الله عليه وسلم مع ورقة بن نوفل

فلما بلغ محمد صلي الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة
للعالمين، و كافة للناس بشيرا ونذيرا، عندما تلقى الرسول صلي الله عليه
وسلم الوحي الأول، رجع من غار حراء إلي بيته، وقص ما رآه من الأمور
الغريبة علي زوجته خديجة ؛ فانطلقت إلي ابن عمها، ورقة بن نوفل،
فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلي الله عليه وسلم . وكان ورقة قد
تنصر . وانصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي الكعبة بعد ما رجعت
خديجة إلي البيت ؛ والتقي بورقة ، فتكلم معه حتى قال له: والذي نفسي بيده،

إنك لنبي هذه الأمة ! ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ٠٠٠ ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرك.

نزول سورة الروم

نزلت هذه السورة ، حين غلب سابور ملك الفرس علي بلاد الشام ، وما والاها من بلاد الجزيرة و أقاصي بلاد الروم .

كان المشركون يحبون أن تظهر فارس علي الروم لأنهم أصحاب أوثان. وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم علي فارس لأنهم أهل الكتاب. فذكر ذلك أبي بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنهم سيغلبون ! فذكره أبو بكر لهم ؛ فقالوا اجعل بيننا أجلا، فإن ظهرنا كان كذا وكذا. وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا . فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا . فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما بضع سنين عندكم؟ قالوا دون العشر. قال: اذهب فرايدهم وازدد سنتين في الأجل! فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم علي فارس ؛ ففرح المؤمنون بذلك . وهذا في يوم الحديبية علي رأس تسع سنين من مقامرتهم .

قصة عداس النصراني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولما زادت قريش في أذاها ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرج إلي الطائف ؛ يلتمس النصرة من ثقيف . فجلس إليهم، فدعاهم إلي الله. ولكن كذبوه، ولم يسمعوا. وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونهم ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، ثم جلس في ظل شجرة .

(فلما رآه ابنا ربيعة ، عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رحمهما ،
فدعوا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عداس ، فقالا : خذ قطفا (من هذا)
العنب فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلي ذلك الرجل ، فقل له يأكل
منه ، ففعل عداس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ثم قال له : كل ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
يده قال : باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا
الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن
أي البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟ قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل
نينوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح
يونس بن متى ؛ فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي ، كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه . قال : يقول ابنا
ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك ؛ فلما جاءهما عداس ،
قالا له : ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال
ياسيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا
نبي ؛ قالوا له : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من
دينه .

أمر عدي بن حاتم النصراني

كان عدي بن حاتم من أغنياء المدينة ، وشريفاً في قومه . عندما
هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلي المدينة المنورة ،

وأسس الدولة الإسلامية ،هرب عدي من المدينة ، ولحق بالشام . والآن نذكر ما تحدث عدي عن أمره هذا .

(ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرأ شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت أسير في قومي بالمرباع ، فكنت في نفسي علي دين ، وكنت ملكاً في قومي، لما كان يصنع بي ، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي ، وكان راعيا لإبلي : لا أبا لك ، أعد لي من إبلي أجماً ذلاً، سماناً، فا حتبسها قريباً مني ، فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ، ففعل ؛ ثم إنه أتاني ذات غداة ، فقال : يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها ، فقالوا هذه جيوش محمد . قال: فقلت فقرب إلي أجمالي، فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحق بأهل ديني من النصاري بالشام. فسلكت الجوشية، ويقال: الحوشية فيما قال ابن هشام - وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام بها وتخالفني خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبايا من طئ ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي إلي الشام: فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يحسن فيها ، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمت إليه، وكانت امرأة جزلة - فقالت: يا رسول الله هلك الولد، وغاب الوفد؛ فامنن علي من الله عليك . قال: ومن وفدك ؟ قالت : عدي بن حاتم. قال: الفار من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد مر

بي فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس . قالت حتى إذا كان بعد
 الغد مر بي وقد ينست منه ، فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميه ؛
 قالت فقممت إليه ، فقلت : يا رسول الله هلك الولد ، وغاب الوفد فامتن علي
 من الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلت ، فلا تعجلي بخروج
 حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلي بلادك ، ثم آذنيني
 . فسألت عن الرجل الذي أشار أن أكلمه ، فقيل : علي بن أبي طالب رضوان
 الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بني قضاة ، قالت : وإنما أريد أنأتي
 أخي بالشام . قالت : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا
 رسول الله ، قد قدم رهط من قومي ، لي فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكساني
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملني ، وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم
 حتى قدمنا الشام . قال عدي : فو الله إني لقاعد في أهلي ، إذ نظرت إلي
 ظعينة ، تصوب إلي تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هي ، فلما
 وقفت علي انسلحت تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت
 ولدك وعورتك ، قال : قلت : أي أخيه ، لا تقولي إلا خيرا ، فوالله مالي من
 عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها :
 وكانت امرأة حازمة ، ماذا في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أري والله أن تلحق
 به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضل ، وإن يكن ملكا فلن تنل
 في عز اليمن ، وأنت أنت . قال قلت : والله إن هذا الرأي قال : فخرجت
 حتى أقدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو
 في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت عدي بن حاتم ، فقام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بي إلي بيته ، فوالله إنه لعامد بي

إليه ، إذ لقينته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بي بيته ، تناول وسادة من آدم محشوة ليفاً ، فقذفها إلي ، فقال اجلس علي هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ؛ قال قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدي بن حاتم ؛ ألم تكن ركوسياً ؟ قال : قلت بلي . (قال) أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع ؟ قال : قلت : بلي قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك ؛ قال: قلت: أجل والله ؛ وقال : وعرفت أنه نبي مرسل ، يعلم ما يجهل ؛ ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية علي بعيرها (حتى) تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

قصة المباهلة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفد نجران

في السنوات الأخيرة من حياته ، وبعد إكمال دولته ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء القبائل والدول إلي الإسلام . وكانت هذه الدعوات سواء بإرسال الوفود أو الرسائل. و كان نصارى نجران من بين

هؤلاء الذين أرسل إليهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، يدعوهم إلى الإسلام. وأرسلت هذه القبيلة وفدا إلى المدينة، حتى يعلم من شأنه شيئا. ومقابلتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غريبة جدا.

والآن نذكر ما روى البيهقي في موضوع هذه القصة :

قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ و أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل قالا: ثنا العباسي محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن سلمة بن يسوع عن أبيه عن جده - قال يونس وكان نصرانيا فأسلم - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم . كتب إلي نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان ؛ باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ من محمد رسول الله إلي أسقف نجران أسلم أنتم فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، و أدعوكم إلي ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام. فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه قطع به وذعر به ذعرا شديدا وبعث رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة - وكان من همدان ولم يكن أحد يدعي إذا نزلت معضلة قبله لا الأتهم ولا السيد ولا العاقب - فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي شرحبيل فقرأه ، فقال الأسقف يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما تؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لي في النبوة رأي ، ولو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأي وجهدت لك ، فقال له الأسقف تتح فاجلس ، فتتحي شرحبيل فجلس

ناحيته فبعث الأسقف إلي رجل من نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذي أصبح من حمير فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فقال له مثل قول شرحبيل ، فقال له الأسقف تتح فتتحي فجلس ناحيته ، وبعث الأسقف إلي رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله ، فأمر الأسقف فتتحي فجلس ناحيته فلما اجتمع الرأي منهم علي تلك المقالة جميعا، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ورفعت النيران والمسوح في الصوامع وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلا ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع ، فاجتمع حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل البوادي أعلاه وأسفله وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وسألهم عن الرأي فيه فاجتمع أهل الرأي منهم علي أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله ابن شرحبيل الأصبحي وجبار بن فيض الحارثي فيأتوهم بخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم ، قال فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حلالا لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فسلموا عليه فلم يرد السلام ، وتصدوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب ، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانوا يعرفونهما فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس . فقالوا يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له فأتيناه فسلمنا عليه

فلم يرد سلامنا وتصدينا لكلامه نهارا طويلا فأعيانا أن يكلمنا فما الرأي منكما ، أترون أن نرجع ؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم ما تري يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال علي لعثمان ولعبد الرحمن أري أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودوا إليه ، ففعلوا فسلموا فرد سلامهم . ثم قال : (والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم ، ثم ساءلهم وسائلوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا ما تقول في عيسى فإنا نرجع إلي قومنا ونحن نصارى ليسرنا أن كنت نبيا أن نسمع ما نسمع ما تقول فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى) فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل هذه الآية : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علي الكاذبين) آل عمران ٥٩ - ٦١ فأبوا أن يقرؤا بذلك ، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعد ما أخبر الخبر أقبل مشتملا علي الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة ، فقال شرحبيل لصاحبيه : قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأي ، وإنني والله أري أمرا ثقيلًا ، والله لئن كان هذا الرجل ملكا متقويا فكنا أول العرب طعن في عيبته ورد عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة وإنا أدني العرب منهم جوارا ، ولئن كان هذا الرجل نبيا مرسلا فلاعنائه لا يبقي علي وجه الأرض

منا شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقالا له صاحباه : فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقال رأيي أن أحكمه فإني أرى رجلا لا يحكم شططا أبدا فقالا له أنت وذاك ، قال فتلقي شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني قد رأيت خيرا من ملاعنتك فقال : ((وما هو)) ؟ فقال حكمك اليوم إلي الليل وليلك إلي الصباح ، فما حكمك فينا فهو جائز ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعل وراءك أحد يثرب عليك ؟) فقال شرحبيل سل صاحبي ، فقالا : ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلاعنهم حتي إذا كان الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب ؛ بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي الأمي رسول الله لنجران أن كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء ورقيق فأفضل عليهم وترك ذلك كله علي ألفي حلة ، في كل رجب ألف حلي ، وفي كل صفر ألف حلة ، وذكر تمام الشروط . إلي أن شهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر والأقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة ، وكتب حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلي نجران ومع الأسقف أخ له من أمه وهو بن عمه من النسب يقال له بشر بن معاوية وكنيته أبو علقمه ، فدفع الوفد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي الأسقف ، فبينما هو يقرأه وأبو علقمه معه وهما يسيران إذ كبت ببشر ناقته فتعس بشر غير أنه لا يكتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الأسقف عند ذلك قد والله تعست ، نبيا مرسل فقال له بشر لا جرم والله لا أحل عنها عقدا حتي آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرف وجه ناقته نحو المدينة وثني الأسقف ناقته عليه ، فقال له : أفهم عني إنما قلت هذا ليبليغ عني العرب مخافة أن يروا أنا

أخذنا حقه أو رضينا بصوته أو نجعنا لهذا الرجل بما لم تتجع به العرب
ونحن أعزهم وأجمعهم دارا فقال له بشر لا والله لا أقبل ما خرج من رأسك
أبدأ فضرب بشر ناقته وهو مولي الأسقف ظهره وارتجز يقول:

إليك تغدو قلقا وضنينها معتر ضافي في بطنها جنيها

حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ولم يزل معه حتى
قتل بعد ذلك . قال ودخل الوفد نجران فأتي الراهب أبي شمر الزبيدي وهو
في رأس صومعته فقال له : إن نبيا بعث بتهامة فذكر ما كان من وفد نجران
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه عرض عليهم الملائنة فأبوا وإن
بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم فقال الراهب أنزلوني وإلا ألقيت نفسي من هذه
الصومعة قال : فأنزلوه فأخذ معه هدية فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء وقعب وعصا . فأقام مدة عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسمع الوحي ثم رجع إلى قومه ولم يقدر له الإسلام
ووعده أنه سيعود فلم يقدر له حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن
الأسقف أبا الحارس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيد والعاقب
ووجوه قومه فأقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله عليه وكتب للأسقف هذا
الكتاب ولأساقفة نجران بعده بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي للأسقف
بي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وكل ما تحت أيديهم من قليل
وكثير جوار الله ورسوله لا يغير أسقف ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن
من كهنته ولا يغير حقا من حقوقهم ولا سلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك
، جوار الله ورسوله أبدا ما أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا
ظالمين وكتب المغيرة بن شعبة.

وذكر محمد بن إسحاق أن وفد نصارى نجران كانوا ستين راكبا يرجع أمرهم إلي أربعة عشر منهم وهم العاقب واسمه المسيح والسيد وهو الأتهم وأبو حارث بن علقمة وأوس بن الحارث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحنس وأمر هؤلاء الأربعة عشر يؤول إلي ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيهِ والسيد وكان ثمالهم وصاحب رحلهم و أبو حارثة ابن علقمة وكان أسقفهم وخيرهم وكان رجل من العرب من بكر بن وائل ولكن دخل في دين النصرانية فعظمته الروم وشرفوه وبنوا له الكنائس ومولوه وخدموه لما يعرفون من صلابته في دينهم وكان مع ذلك يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن صده الشرف والجاه من اتباع الحق. وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني بريدة بن سفيان عن ابن البيلماني عن كرز بن علقمة قال : قدم وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم أربعة وعشرون رجلا من أشرفهم والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم العاقب والسيد وأبو حارسة أحد بني بكر بن وائل أسقفهم وصاحب مدارسهم وكانوا قد شرفوه فيهم ومولوه وأكرموه ، وبسطوا عليه الكرامات وبنوا له الكنائس لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما توجهوا من نجران جلس أبو حارثة علي بغلة له و إلي جنبه أخ له يقال له كرز ابن علقمة يسايره إذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال كرز : تعس الأبعد - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست فقال له كرز : وما يمنعك وأنت تعلم هذا . فقال له ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وخدمونا وقد أبو إلا خلافه .

ولو فعلت نزعوا منا كل ما تري قال فاضمر عليها منه أخوة كرز
حتى أسلم بعد ذلك . وذكر ابن إسحاق أنهم لما دخلوا المسجد النبوي دخلوا
في تجمل وثياب حسان وقد حانت صلاة العصر فقاموا يصلون إلى المشرق.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فكان المتكلم لهم أبا حارثة بن
علقمة والسيد والعاقب حتى نزل فيهم صدر من سورة آل عمران والمباهلة
فأبوا ذلك و سألوا أن يرسل معهم أمينا فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح كما
تقدم في رواية البخاري .

رسالتا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم:

لاشك أن أهم علاقات الرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الروم هي
المراسلات التي أرسلها صلى الله عليه وسلم إلى زعيمهم لدعوته إلى الإسلام
. ولأهمية هذه المراسلات، اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأول مرة
خاتما ، كان نقشه محمد رسول الله .

قبل تحليل هذه المراسلات التاريخية نقدم نص رسالتي الرسول صلى

الله عليه وسلم :

الرسالة الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله ، إلى هرقل عظيم الروم

سلام علي من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ،
أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين.
و ((يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا

نشارك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا
اشهدوا بأننا مسلمون)) .

الرسالة الثانية إلي قيصر الروم :

من محمد رسول الله إلي صاحب الروم

إنني أدعوك إلي الإسلام ، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما
عليهم . فإن لم تدخل في الإسلام فأعطي الجزية ، فإن الله تبارك وتعالى
يقول: ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا
الجزية عن يد وهم صاغرون)) . وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام
أن يدخلوا فيه ، أو يعطوا الجزية .

النتيجة :

والآن يمكن لنا أن نخرج ببعض النتائج وهي :

- ١- كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعرف النصارى من بداية
أمره . ولم ير بأساً بلقائهم .
- ٢- كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يفرح - كما رأينا موقفه عند
نزول سورة الروم - بنجاح النصارى ضد الوثنيين .
- ٣- كان رسول الله صلي الله عليه وسلم لم ير بأساً أن يضيف
المسيحيين فيه بيته كما ذكرناه في قصة عدى بن حاتم .

- ٤- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وفود النصارى في المسجد، ويسمح لهم أن يؤدوا عبادتهم فيه .
- ٥- وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاتصال مع قيصر الروم ودعاه إلى دين الله .

" قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "

القسم الأول

المسلمون والحضارة الأوروبية

تاريخ بداية العلاقات بين المسلمين والغرب

أ. د / إحسان ثريا صيرما

لأشك أنه عندما نتكلم عن العلاقات بين المسلمين والغرب ، نعني من اصطلاح الغرب، العالم المسيحي . لأن المسيحيين في عهد الإسلام الأول، كانوا يمثلون الغرب الحديث . ولهذا سوف نتكلم عن العلاقات التي جرت بين المسلمين والمسيحيين .

طبعاً لا يمكن التكلم أثناء المؤتمرات كمؤتمرننا هذا عن كل التفاصيل. ولا سيما في موضوعات مهمة، ومفصلة كبحتنا هذا. ولهذا السبب سنتكلم فقط عن العلاقات التي جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسيحيين . وسنحاول - إن شاء الله تعالى - أن نفهم ونعلم من هذه العلاقات كيفية سياسته صلى الله عليه وسلم ومعاملته معهم .

لتحقيق بحثنا وغرضنا هذا، اخترنا هذا المنهج وهذه الأصول : سنقدم الحوادث التي جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والنصارى ، ونستبطن ونحلل علاقاته صلى الله عليه وسلم من خلال هذه الحوادث .

سفر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بصري

حسب ما نقرأ في المصادر التاريخية الإسلامية، أول لقاء له صلى الله عليه وسلم مع المسيحيين، كان في بلاد الشام، مع الراهب بحيرا. ونجد قصة هذا السفر عند مؤرخنا الكبير ابن إسحاق كما يلي:-

عن محمد ابن إسحاق قال : و كان أبو طالب هو الذي آل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بعد جده ، فكان إليه ومعه . ثم إن أبا طالب خرج في ركب إلي الشام تاجرا فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع السير هب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بزمام ناقته وقال : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا . أو كما قال ، فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصري ، من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له ، وكان أعلم أهل النصرانية . ولم يزل في تلك الصومعة قط راهباً ، عليه يصير علمهم عن كتاب فيهم ، فيما يزعمون ، يتوارثونه كابرا عن كابر .

فلما نزلوا ذلك العام ببخيرا ، وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتي إذا كان ذلك العام نزلوا به قريبا من صومعته فصنع لهم طعاما كثيرا . وذلك فيما يزعمون ، عن شئ رآه وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم . ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه . فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة ، وتبصرت أغصان الشجرة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتي استظل تحتها . فلما رأى ذلك بحيرا ، نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع . ثم أرسل إليهم فقال : أني قد صنعت لكم طعاما ، يا معشر قريش ، وأنا أحب أن تحضروا كلكم : صغيراكم وكبيراكم وحركم وعبدكم . فقال له رجل منهم : يا بحيرا ! إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى ، وقد كنا نمر بك كثيرا . فما شأنك اليوم ؟ فقال له بحيرا : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما

تأكلون منه كلكم . فاجتمعوا إليه . وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحدائثة سنه ، في رحل القوم تحت الشجرة . فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده . قال : يا معشر قريش ، لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا ؟ قالوا له : يا بحيرا ، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سنا، تخلف في رحالهم . قال : فلا تفعلوا ، ادعوا فليحضر هذا الطعام معكم . فقال رجل من القوم من قريش : واللات والعزى ، أن هذا للوم بنا يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه ، ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم . فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر علي أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته . حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا، قام بحيرا فقال له : يا غلام ، أسألك باللات والعزى ألا أخبرتني عما أسألك عنه . وإنما قال بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لا تسألني باللات والعزى شيئا ، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما . فقال له بحيرا : (فبالله ألا أخبرتني عما أسألك عنه قال : سلني عما بدا لك) . فجعل يسئله عن أشياء من حاله من نومه وهيبته وأموره . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهن فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته . ثم نظر إلي ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه علي موضعه من صفته التي عنده . فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب ، فقال له : (ما هذا الغلام منك ؟) . قال : (ابني) قال له بحيرا : (ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا) . قال : (فإنه ابن أخي) . قال : (فما فعل أبوه ؟) قال : (مات وأمه حبلى

به). قال: (صدقت ، ارجع بابن أخيك إلي بلاده ، واحذر عليه اليهود. فو الله
لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ، ليبغينه شرا . فإنه كائن لابن أخيك هذا
شأن ، فأسرع به إلي بلاده). فخرج به عمه أبو طالب سريعا ، حتى أقدمه
مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا ، فيما يتحدث الناس ، أن زبيرا ،
وتامما ، ودريسا- وهم نفر من أهل الكتاب- قد كانوا رأوا من رسول الله
صلي الله عليه وسلم في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب أشياء ،
فأرادوه فردهم عنه بحيرا ، وذكرهم الله عز وجل وما يجدون في الكتاب من
ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه ، حتى عرفوا ما
قال لهم ، وصدقوه بما قال . فتركوه وانصرفوا ، فقال أبو طالب في ذلك من
الشعر يذكر مسيرة برسول الله و ما أرادوا منه أولئك النفر وما قال لهم فيه
بحيرا.

لقاؤه صلي الله عليه وسلم مع ورقة بن نوفل

فلما بلغ محمد صلي الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة
للعالمين، و كافة للناس بشيرا ونذيرا، عندما تلقى الرسول صلي الله عليه
وسلم الوحي الأول، رجع من غار حراء إلي بيته، وقص ما رآه من الأمور
الغريبة علي زوجته خديجة ؛ فانطلقت إلي ابن عمها، ورقة بن نوفل،
فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلي الله عليه وسلم . وكان ورقة قد
تنصر . وانصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي الكعبة بعد ما رجعت
خديجة إلي البيت ؛ والتقي بورقة ، فتكلم معه حتى قال له: والذي نفسي بيده،

إنك لنبي هذه الأمة ! ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ٠٠٠ ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرك.

نزول سورة الروم

نزلت هذه السورة ، حين غلب سابور ملك الفرس علي بلاد الشام ، وما والاها من بلاد الجزيرة و أقاصي بلاد الروم .

كان المشركون يحبون أن تظهر فارس علي الروم لأنهم أصحاب أوثان. وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم علي فارس لأنهم أهل الكتاب. فذكر ذلك أبي بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنهم سيغلبون ! فذكره أبو بكر لهم ؛ فقالوا اجعل بيننا أجلا، فإن ظهرنا كان كذا وكذا. وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا . فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا . فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما بضع سنين عندكم؟ قالوا دون العشر. قال: اذهب فرايدهم وازدد سنتين في الأجل! فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم علي فارس ؛ ففرح المؤمنون بذلك . وهذا في يوم الحديبية علي رأس تسع سنين من مقامرتهم .

قصة عداس النصراني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولما زادت قريش في أذاها ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرج إلي الطائف ؛ يلتمس النصرة من ثقيف . فجلس إليهم، فدعاهم إلي الله. ولكن كذبوه، ولم يسمعوا. وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونهم ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، ثم جلس في ظل شجرة .

(فلما رآه ابنا ربيعة ، عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رحمهما ،
فدعوا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عداس ، فقالا : خذ قطفا (من هذا)
العنب فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلي ذلك الرجل ، فقل له يأكل
منه ، ففعل عداس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ثم قال له : كل ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
يده قال : باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا
الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن
أي البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟ قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل
نينوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح
يونس بن متى ؛ فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي ، كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه . قال : يقول ابنا
ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك ؛ فلما جاءهما عداس ،
قالا له : ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال
ياسيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا
نبي ؛ قالوا له : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من
دينه .

أمر عدي بن حاتم النصراني

كان عدي بن حاتم من أغنياء المدينة ، وشريفاً في قومه . عندما
هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلي المدينة المنورة ،

وأسس الدولة الإسلامية ،هرب عدي من المدينة ، ولحق بالشام . والآن نذكر ما تحدث عدي عن أمره هذا .

(ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرأ شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت أسير في قومي بالمرباع ، فكنت في نفسي علي دين ، وكنت ملكاً في قومي، لما كان يصنع بي ، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي ، وكان راعيا لإبلي : لا أبا لك ، أعد لي من إبلي أجماً ذللاً، سماناً، فا حتبسها قريباً مني ، فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ، ففعل ؛ ثم إنه أتاني ذات غداة ، فقال : يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها ، فقالوا هذه جيوش محمد . قال: فقلت فقرب إلي أجمالي، فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحق بأهل ديني من النصاري بالشام. فسلكت الجوشية، ويقال: الحوشية فيما قال ابن هشام - وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام بها وتخالفتني خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبايا من طئ ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي إلي الشام: فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يحسن فيها ، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمت إليه، وكانت امرأة جزلة - فقالت: يا رسول الله هلك الولد، وغاب الوفد؛ فامنن علي من الله عليك . قال: ومن وفدك ؟ قالت : عدي بن حاتم. قال: الفار من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد مر

بي فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس . قالت حتى إذا كان بعد
 الغد مر بي وقد ينست منه ، فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميه ؛
 قالت فقممت إليه ، فقلت : يا رسول الله هلك الولد ، وغاب الوفد فامتن علي
 من الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلت ، فلا تعجلي بخروج
 حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلي بلادك ، ثم آذنيني
 . فسألت عن الرجل الذي أشار أن أكلمه ، فقيل : علي بن أبي طالب رضوان
 الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بني قضاة ، قالت : وإنما أريد أنأتي
 أخي بالشام . قالت : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا
 رسول الله ، قد قدم رهط من قومي ، لي فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكساني
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملني ، وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم
 حتى قدمنا الشام . قال عدي : فو الله إني لقاعد في أهلي ، إذ نظرت إلي
 ظعينة ، تصوب إلي تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هي ، فلما
 وقفت علي انسلحت تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت
 ولدك وعورتك ، قال : قلت : أي أخيه ، لا تقولي إلا خيرا ، فوالله مالي من
 عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها :
 وكانت امرأة حازمة ، ماذا في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أري والله أن تلحق
 به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضل ، وإن يكن ملكا فلن تنل
 في عز اليمن ، وأنت أنت . قال قلت : والله إن هذا الرأي قال : فخرجت
 حتى أقدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو
 في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت عدي بن حاتم ، فقام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بي إلي بيته ، فوالله إنه لعامد بي

إليه ، إذ لقينته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بي بيته ، تناول وسادة من آدم محشوة ليفاً ، ففذفها إلي ، فقال اجلس علي هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ؛ قال قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدي بن حاتم ؛ ألم تكن ركوسياً ؟ قال : قلت بلي . (قال) أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع ؟ قال : قلت : بلي قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك ؛ قال : قلت : أجل والله ؛ وقال : وعرفت أنه نبي مرسل ، يعلم ما يجهل ؛ ثم قال : لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية علي بعيرها (حتى) تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

قصة المباهلة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفد نجران

في السنوات الأخيرة من حياته ، وبعد إكمال دولته ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء القبائل والدول إلي الإسلام . وكانت هذه الدعوات سواء بإرسال الوفود أو الرسائل . و كان نصارى نجران من بين

هؤلاء الذين أرسل إليهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، يدعوهم إلى الإسلام. وأرسلت هذه القبيلة وفدا إلى المدينة، حتى يعلم من شأنه شيئا. ومقابلتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غريبة جدا.

والآن نذكر ما روى البيهقي في موضوع هذه القصة :

قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ و أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل قالا: ثنا العباسي محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن سلمة بن يسوع عن أبيه عن جده - قال يونس وكان نصرانيا فأسلم - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم . كتب إلي نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان ؛ باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ من محمد رسول الله إلي أسقف نجران أسلم أنتم فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، و أدعوكم إلي ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام. فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه قطع به وذعر به ذعرا شديدا وبعث رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة - وكان من همدان ولم يكن أحد يدعي إذا نزلت معضلة قبله لا الأتهم ولا السيد ولا العاقب - فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي شرحبيل فقرأه ، فقال الأسقف يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما تؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لي في النبوة رأي ، ولو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأي وجهدت لك ، فقال له الأسقف تتح فاجلس ، فتتحي شرحبيل فجلس

ناحيته فبعث الأسقف إلي رجل من نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذي أصبح من حمير فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فقال له مثل قول شرحبيل ، فقال له الأسقف تتح فتتحي فجلس ناحيته ، وبعث الأسقف إلي رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله ، فأمر الأسقف فتتحي فجلس ناحيته فلما اجتمع الرأي منهم علي تلك المقالة جميعا، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ورفعت النيران والمسوح في الصوامع وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلا ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع ، فاجتمع حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل البوادي أعلاه وأسفله وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وسألهم عن الرأي فيه فاجتمع أهل الرأي منهم علي أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله ابن شرحبيل الأصبحي وجبار بن فيض الحارثي فيأتوهم بخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم ، قال فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حلالا لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فسلموا عليه فلم يرد السلام ، وتصدوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب ، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانوا يعرفونهما فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس . فقالوا يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له فأتيناه فسلمنا عليه

فلم يرد سلامنا وتصدينا لكلامه نهارا طويلا فأعيانا أن يكلمنا فما الرأي منكما ، أترون أن نرجع ؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم ما تري يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال علي لعثمان ولعبد الرحمن أري أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودوا إليه ، ففعلوا فسلموا فرد سلامهم . ثم قال : (والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم ، ثم ساءلهم وسائلوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا ما تقول في عيسى فإنا نرجع إلي قومنا ونحن نصارى ليسرنا أن كنت نبيا أن نسمع ما نسمع ما تقول فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى) فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل هذه الآية : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علي الكاذبين) آل عمران ٥٩ - ٦١ فأبوا أن يقرؤا بذلك ، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعد ما أخبر الخبر أقبل مشتملا علي الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة ، فقال شرحبيل لصاحبيه : قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأي ، وإنني والله أري أمرا ثقيلًا ، والله لئن كان هذا الرجل ملكا متقويا فكنا أول العرب طعن في عيبته ورد عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة وإنا أدني العرب منهم جوارا ، ولئن كان هذا الرجل نبيا مرسلا فلاعنائه لا يبقي علي وجه الأرض

منا شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقالا له صاحباه : فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقال رأيي أن أحكمه فإني أرى رجلا لا يحكم شططا أبدا فقالا له أنت وذاك ، قال فتلقي شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني قد رأيت خيرا من ملاعنتك فقال : ((وما هو)) ؟ فقال حكمك اليوم إلي الليل وليلك إلي الصباح ، فما حكمك فينا فهو جائز ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعل وراءك أحد يثرب عليك ؟) فقال شرحبيل سل صاحبي ، فقالا : ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلاعنهم حتي إذا كان الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب ؛ بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي الأمي رسول الله لنجران أن كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء ورقيق فأفضل عليهم وترك ذلك كله علي ألفي حلة ، في كل رجب ألف حلي ، وفي كل صفر ألف حلة ، وذكر تمام الشروط . إلي أن شهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر والأقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة ، وكتب حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلي نجران ومع الأسقف أخ له من أمه وهو بن عمه من النسب يقال له بشر بن معاوية وكنيته أبو علقمه ، فدفع الوفد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي الأسقف ، فبينما هو يقرأه وأبو علقمه معه وهما يسيران إذ كبت ببشر ناقته فتعس بشر غير أنه لا يكتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الأسقف عند ذلك قد والله تعست ، نبيا مرسل فقال له بشر لا جرم والله لا أحل عنها عقدا حتي آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرف وجه ناقته نحو المدينة وثني الأسقف ناقته عليه ، فقال له : أفهم عني إنما قلت هذا ليببلغ عني العرب مخافة أن يروا أنا

أخذنا حقه أو رضينا بصوته أو نجعنا لهذا الرجل بما لم تتجع به العرب
ونحن أعزهم وأجمعهم دارا فقال له بشر لا والله لا أقبل ما خرج من رأسك
أبدأ فضرب بشر ناقته وهو مولي الأسقف ظهره وارتجز يقول:

إليك تغدو قلقا وضنينها معتر ضافي في بطنها جنيها

حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ولم يزل معه حتى
قتل بعد ذلك . قال ودخل الوفد نجران فأتي الراهب أبي شمر الزبيدي وهو
في رأس صومعته فقال له : إن نبيا بعث بتهامة فذكر ما كان من وفد نجران
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه عرض عليهم الملائنة فأبوا وإن
بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم فقال الراهب أنزلوني وإلا ألقيت نفسي من هذه
الصومعة قال : فأنزلوه فأخذ معه هدية فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء وقعب وعصا . فأقام مدة عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسمع الوحي ثم رجع إلى قومه ولم يقدر له الإسلام
ووعده أنه سيعود فلم يقدر له حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن
الأسقف أبا الحارس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيد والعاقب
ووجوه قومه فأقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله عليه وكتب للأسقف هذا
الكتاب ولأساقفة نجران بعده بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي للأسقف
بي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وكل ما تحت أيديهم من قليل
وكثير جوار الله ورسوله لا يغير أسقف ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن
من كهنته ولا يغير حقا من حقوقهم ولا سلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك
، جوار الله ورسوله أبدا ما أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا
ظالمين وكتب المغيرة بن شعبة.

وذكر محمد بن إسحاق أن وفد نصارى نجران كانوا ستين راكبا يرجع أمرهم إلي أربعة عشر منهم وهم العاقب واسمه المسيح والسيد وهو الأتثم وأبو حارث بن علقمة وأوس بن الحارث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحنس وأمر هؤلاء الأربعة عشر يؤول إلي ثلاثة منهم وهم العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيهِ والسيد وكان ثمالهم وصاحب رحلهم و أبو حارثة ابن علقمة وكان أسقفهم وخيرهم وكان رجل من العرب من بكر بن وائل ولكن دخل في دين النصرانية فعظمته الروم وشرفوه وبنوا له الكنائس ومولوه وخدموه لما يعرفون من صلابته في دينهم وكان مع ذلك يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن صده الشرف والجاه من اتباع الحق. وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني بريدة بن سفيان عن ابن البيلماني عن كرز بن علقمة قال : قدم وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم أربعة وعشرون رجلا من أشرفهم والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم العاقب والسيد وأبو حارسة أحد بني بكر بن وائل أسقفهم وصاحب مدارسهم وكانوا قد شرفوه فيهم ومولوه وأكرموه ، وبسطوا عليه الكرامات وبنوا له الكنائس لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما توجهوا من نجران جلس أبو حارثة علي بغلة له و إلي جنبه أخ له يقال له كرز ابن علقمة يسايره إذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال كرز : تعس الأبعد - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست فقال له كرز : وما يمنعك وأنت تعلم هذا . فقال له ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وخدمونا وقد أبو إلا خلافه .

ولو فعلت نزعوا منا كل ما تري قال فاضمر عليها منه أخوة كرز
حتى أسلم بعد ذلك . وذكر ابن إسحاق أنهم لما دخلوا المسجد النبوي دخلوا
في تجمل وثياب حسان وقد حانت صلاة العصر فقاموا يصلون إلى المشرق.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فكان المتكلم لهم أبا حارثة بن
علقمة والسيد والعاقب حتى نزل فيهم صدر من سورة آل عمران والمباهلة
فأبوا ذلك و سألوا أن يرسل معهم أمينا فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح كما
تقدم في رواية البخاري .

رسالتا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم:

لاشك أن أهم علاقات الرسول الله صلى الله عليه وسلم مع الروم هي
المراسلات التي أرسلها صلى الله عليه وسلم إلى زعيمهم لدعوته إلى الإسلام
. ولأهمية هذه المراسلات، اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأول مرة
خاتما ، كان نقشه محمد رسول الله .

قبل تحليل هذه المراسلات التاريخية نقدم نص رسالتي الرسول صلى

الله عليه وسلم :

الرسالة الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله ، إلى هرقل عظيم الروم

سلام علي من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ،
أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين .
و ((يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا

نشارك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا
اشهدوا بأننا مسلمون)) .

الرسالة الثانية إلى قيصر الروم :

من محمد رسول الله إلى صاحب الروم

إنني أدعوك إلى الإسلام ، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما
عليهم . فإن لم تدخل في الإسلام فأعطي الجزية ، فإن الله تبارك وتعالى
يقول: ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا
الجزية عن يد وهم صاغرون)) . وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام
أن يدخلوا فيه ، أو يعطوا الجزية .

النتيجة :

والآن يمكن لنا أن نخرج ببعض النتائج وهي :

- ١- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف النصارى من بداية
أمره . ولم ير بأساً بلقائهم .
- ٢- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرح - كما رأينا موقفه عند
نزول سورة الروم - بنجاح النصارى ضد الوثنيين .
- ٣- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير بأساً أن يضيف
المسيحيين فيه بيته كما ذكرناه في قصة عدى بن حاتم .

- ٤- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وفود النصارى في المسجد، ويسمح لهم أن يؤدوا عبادتهم فيه .
- ٥- وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاتصال مع قيصر الروم ودعاه إلى دين الله .

" قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "